الوحدة الثامنة: شبكات التواصل الاجتماعي والفضاء العمومي الافتراضي

تمهيد:

نعيش اليوم في عصر يتسارع فيه التحول الرقمي بوتيرة غير مسبوقة، فلم تعد النقاشات العامة محصورة في المقاهي والساحات والبرلمانات كما كان الحال تاريخيا، بل امتدت إلى فضاءات افتراضية لا حدود جغرافية لها. فشبكات التواصل الاجتماعي أصبحت المحور الجوهري في إعادة تشكيل العلاقة بين الفرد والمجتمع، بين الفرد والدولة، وبين الفرد والرأي العام، وعليه يمكننا طرح التساؤل الآتي: كيف تحولت المنصات الرقمية إلى فضاءات عمومية جديدة؟ وهل تمثل حقا امتدادا للفضاء العمومي المثالي الذي تحدث عنه الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس؟ أم أنها خلقت نمطا جديدا من الفضاءات يحمل إمكانيات وتحديات مختلفة تمامًا؟

1-نظرية الفضاء العمومي عند هابرماس وتطبيقاتها الرقمية:

يعد يورغن هابرماس (Jürgen Habermas) فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر، ينتمي إلى الجيل الثاني من مدرسة فرانكفورت النقدية، وهو من أبرز المنظرين للديمقراطية التداولية والفضاء العمومي في القرن العشرين، له كتاب بعنوان "التحول البنيوي للفضاء العمومي" (1962) عرف فيه الفضاء العمومي بأنه مجال اجتماعي وسيط بين الدولة والمجتمع المدني، يجتمع فيه الأفراد بصفتهم مواطنين أحرارًا ومتساوين لمناقشة القضايا ذات الاهتمام المشترك، بهدف تشكيل رأي عام عقلاني قادر على التأثير في السلطة السياسية.

وقد حدد هابرماس مجموعة من الشروط الضرورية لقيام فضاء عمومي عقلاني:

- الانفتاح والولوجية:(Accessibility) إمكانية دخول جميع المواطنين دون قيود طبقية أو اقتصادية، أي لا حواجز تمييزية على أساس الجنس أو العرق أو الدين
- المساواة:(Equality) : تكافؤ الفرص في التعبير والمشاركة، والحجة والبرهان هما معيار القبول، لا المكانة الاجتماعية.
- العقلانية التواصلية:(Communicative Rationality) : الحوار القائم على المنطق والحجج العقلانية.
- البحث عن الحقيقة والمصلحة العامة، لا عن المصلحة الخاصة، والاستعداد للإقناع والاقتناع بالحجة الأفضل.
- الاستقلالية:(Autonomy) :حرية من هيمنة سلطة الدولة، وحرية من ضغوط السوق والمصالح التجارية.
- وحماية حرية التعبير والتجمعثانيًا: الفضاء العمومي في العصر الرقمي.

2-خصائص الفضاء العمومي الافتراضي: الانفتاح والتفاعل والتعددية

يتميز الفضاء العمومي الافتراضي الذي تشكله شبكات التواصل الاجتماعي بعدة خصائص رئيسية:

- **الانفتاح:** هذه المنصات الرقمية توفر إمكانية المشاركة والتعبير عن الآراء بشكل مفتوح لجميع المستخدمين، دون قيود جغرافية أو اجتماعية.
- **التفاعلية:** الفضاء الافتراضي يتيح تفاعلًا مباشرًا بين المستخدمين، حيث يمكنهم التعليق والمشاركة والرد على بعضهم البعض بشكل متزامن.

❖ **التعددية:** هذه المنصات تسمح بتنوع الأصوات والأفكار المطروحة، حيث تجمع بين مختلف الآراء والخلفيات الاجتماعية والثقافية.

وقد أثرت هذه الخصائص على طبيعة المناقشات والحوارات العامة في المجتمع، مما أتاح إمكانية تفعيل المشاركة المدنية والديمقراطية بشكل أوسع.

3-دور شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل الرأي العام:

لعبت شبكات التواصل الاجتماعي دورا مهما في تشكيل الرأي العام في المجتمعات المعاصرة، فهذه المنصات أتاحت للمواطنين إمكانية التعبير عن آرائهم وتبادل الأفكار بشكل واسع وسريع، مما ساهم في إثراء النقاش العام حول القضايا المختلفة، كما أن تفاعلية هذه المنصات وانتشارها الواسع جعلها بمثابة منابر لتعبئة الرأي العام وحشد الجماهير حول قضايا معينة، وقد شهدنا العديد من الأمثلة على ذلك في السنوات الأخيرة، مثل حركات الاحتجاج والتغييرات السياسية التي تم تنظيمها وتنسيقها عبر شبكات التواصل.

4- تحديات الفضاء العمومي الافتراضي: الأخبار الزائفة وخطاب الكراهية

على الرغم من الإمكانات التي وفرتها شبكات التواصل الاجتماعي في تعزيز الفضاء العمومي الافتراضي، إلا أن هذا الفضاء يواجه تحديات خطيرة تتمثل في انتشار الأخبار الزائفة وخطاب الكراهية.

الأخبار الزائفة: إن سهولة نشر المعلومات عبر هذه المنصات الرقمية أدت إلى انتشار الأخبار الكاذبة والمضللة على نطاق واسع. وهذا يؤثر سلبًا على قدرة المواطنين على الحصول على معلومات دقيقة وموثوقة، مما يعرقل عملية تشكيل رأي عام مستنير.

خطاب الكراهية: كما أن هذه المنصات أتاحت فضاء للتعبير عن الآراء بحرية، إلا أن ذلك أدى أيضًا إلى انتشار خطاب الكراهية والتعصب ضد فئات اجتماعية معينة. وهذا يهدد مبادئ التسامح والتعددية التي ينبغي أن يقوم عليها الفضاء العمومي.

هذه التحديات تمثل تهديدا خطيرا لمفهوم الفضاء العمومي الافتراضي كمساحة للحوار والمشاركة الديمقراطية. لذا يجب العمل على تطوير آليات للحد من انتشار المعلومات المضللة وخطاب الكراهية، بما في ذلك تعزيز الوعي النقدي لدى المستخدمين وتشديد المراقبة والمساءلة على هذه المنصات.

في الوقت نفسه، يجب الحفاظ على مبادئ الحرية والتعددية في هذا الفضاء الرقمي، حتى يتمكن المواطنون من المشاركة بفعالية في النقاش العام والتأثير على صنع القرار.